# سلطة اللغة وأثرها النفسي في توجيه المتلقي
# (مقاربة بين نهج البلاغة ونظرية أفعال الكلام)

# The Authority of Language and Its Psychological Impact on Guiding the Receiver (A Comparative Approach between Nahj Al-Balagha and Speech Act Theory)

م.م. بلسم باسم شنان الياسري/جامعة الفرات الأوسط التقنية/ العراق

balsam.shannan@atu.edu.iq

٠٧٨١٢٣٢٨٤٩٠

**الخلاصة**

يتناول هذا البحث سلطة اللغة وأثرها النفسي في توجيه المتلقي من خلال دراسة تحليلية مقارنة بين نصوص نهج البلاغة ونظرية أفعال الكلام في اللسانيات الحديثة. وينطلق من رؤية تداولية ترى اللغة فعلًا إنجازيًا قادرًا على التأثير في الوعي والسلوك، لا مجرد أداة لنقل المعنى. ويبيّن البحث، اعتمادًا على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، أن الخطاب العلوي يوظّف أنماطًا متعددة من الأفعال الكلامية – كالأوامر والنواهي والوعود والتعبيريات – بوصفها آليات نفسية توجيهية تُسهم في بناء القناعة، وضبط السلوك، واستثارة الوجدان. كما تكشف الدراسة عن تقاطع لافت بين البلاغة العربية التراثية ومفاهيم التداولية المعاصرة، ولا سيما في شروط الإنجاز الكلامي وملاءمة المقام. وتخلص إلى أن نهج البلاغة يمثل نموذجًا مبكرًا وفعّالًا لسلطة اللغة التداولية، بما يؤكد قدرته المستمرة على التأثير النفسي والاجتماعي، ويفتح آفاقًا جديدة لتحليل الخطاب الديني المعاصر.

**الكلمات المفتاحية:** سلطة اللغة، نهج البلاغة، أفعال الكلام، التداولية ، التأثير النفسي.

**Abstract**

This study addresses the authority of language and its psychological impact on guiding the receiver through a comparative analytical examination of the texts of Nahj al-Balagha and speech act theory in modern linguistics. It adopts a pragmatic perspective that views language as a performative act capable of influencing consciousness and behavior, rather than merely as a tool for conveying meaning. Based on a descriptive-analytical comparative methodology, the research demonstrates that Alawi discourse employs multiple patterns of speech acts—such as commands, prohibitions, promises, and expressives—as psychological guiding mechanisms that contribute to shaping conviction, regulating behavior, and stimulating emotions. The study also reveals a remarkable intersection between traditional Arabic rhetoric and

contemporary pragmatic concepts, particularly regarding conditions of speech act fulfillment and contextual appropriateness. It concludes that Nahj al-Balagha represents an early and effective model of the pragmatic authority of language, confirming its enduring capacity for psychological and social influence, and opening new avenues for analyzing contemporary religious discourse.
**Keywords:** authority of language, Nahj al-Balagha, speech acts, pragmatics, psychological influence.

## المقدمة:

تُعدّ اللغة من أبرز أدوات التأثير والتوجيه في الخطاب الإنساني، إذ لا تقتصر وظيفتها على نقل المعاني فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى ممارسة سلطة خفية على المتلقي، تتجلى في تشكيل الوعي، وتوجيه الانفعالات، وصياغة المواقف. وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة العلاقة بين اللغة والسلطة النفسية، لا سيما حين تُوظّف في الخطاب الديني الذي يمتلك قدرة مضاعفة على التأثير، لما يحمله من قداسة وشرعية معرفية وأخلاقية.

ينطلق هذا البحث من فرضية مركزية مفادها أن اللغة في نهج البلاغة، بما تحمله من بلاغة عالية وحمولات دلالية عميقة، تمارس سلطة نفسية على المتلقي، تُعيد تشكيل وعيه وتدفعه نحو التفاعل الوجداني والعقلي مع الرسالة الموجهة. ولتفسير هذا الأثر، يُقارب البحث بين نماذج من نهج البلاغة ونظرية أفعال الكلام (Speech Acts Theory)التي طوّرها جون سيرل وجون أوستن، والتي تنظر إلى اللغة بوصفها فعلاً يُنجز شيئًا في الواقع، لا مجرد أداة وصفية. وتتجه الدراسات اللغوية المعاصرة إلى السعي وراء فهم سلطة اللغة وقدرتها على التأثير في الوعي الجمعي للفرد والمجتمع، خصوصًا في الخطاب الديني الذي يتمتع بأعلى مستويات النفوذ التداولي والروحي. وإذا كانت البلاغة العربية قد اعتنت منذ قرون بهذه السلطة، فإن المقاربات التداولية الحديثة – وفي القلب منها نظرية "أفعال الكلام" كما طورها جون أوستن وجون سيرل – تتيح لنا منهجية دقيقة لتحليل أثر اللغة في النفس وتوجيه المتلقي عبر مستويات متعددة: الإقناعية، الوجدانية، والتنظيمية.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل كيفيات التوجيه النفسي في الخطاب العلوي، من خلال رصد الأفعال الكلامية التي تتضمنها النصوص، كالأمر، والوعد، والتوبيخ، والتعزية، والدعاء، وغيرها، وربطها بالاستجابات النفسية التي يُحدثها الخطاب في المتلقي. كما تُعنى بتفكيك البنية التداولية للخطاب، واستجلاء آليات التأثير التي تجعل من اللغة سلطة معرفية ونفسية في آنٍ واحد.

وتكمن أهمية هذه المقاربة في أنها تربط بين التراث البلاغي الإسلامي والنظريات اللغوية الحديثة، مما يفتح أفقًا جديدًا لفهم الخطاب الديني بوصفه ممارسة لغوية واعية، قادرة على إنتاج أثر نفسي وتوجيهي يتجاوز حدود الزمان والمكان.

وبما أن الدراسات الحالية إلى فهم شامل لآليات سلطة اللغة في التأثير النفسي على المتلقي من زاويتين متكاملتين: المناهج البلاغية الإسلامية المتمثلة في نهج البلاغة، ونظرية أفعال الكلام في علم اللسانيات الحديثة. ويُعزى ذلك إلى غياب تحليل مقارن يربط بين قوة البلاغة التوجيهية في نهج البلاغة والآليات الدلالية والتفاعلية في نظرية أفعال الكلام. لذا، تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيفية توظيف الخطاب في نهج البلاغة لسلطته النفسية وتوجيه المتلقي، ومقارنة تلك الآليات بما تقدمه نظرية أفعال الكلام من أدوات لفهم فعل الكلام كوسيلة للسيطرة والإقناع. وتكمن أهمية البحث في أنه يساهم في توسيع الفهم العلمي للعلاقة بين سلطة اللغة والتأثير النفسي على المتلقي. ويربط بين المنهج البلاغي الإسلامي في نهج البلاغة والنظرية اللسانية الحديثة لأفعال الكلام. كما يكشف الآليات الدلالية والتفاعلية التي تستخدمها اللغة للسيطرة والإقناع.

وتتجلى أهداف البحث في تحديد مفهوم سلطة اللغة وأبعادها النفسية في توجيه المتلقي. وتحليل آليات البلاغة في نهج البلاغة ودورها في إثارة التأثير النفسي. إضافة إلى استكشاف أفعال الكلام المعيارية في النظرية اللسانية وفاعليتها التوجيهية. ومقارنة الآليات الدلالية والتفاعلية بين نهج البلاغة ونظرية أفعال الكلام.

**ولتحقيق ما سبق قسمنا الدراسة إلى مطلبين:**

- **المطلب الأول:** في المفاهيم النظرية يتحدث عن مفهوم فلسفة اللغة ونشأتها، ونظرية المتكلم في فلسفة اللغة. إضافة إلى تعريف بسيط بكتاب نهج البلاغة
- **المطلب الثاني:** وهو يتضمن الدراسة التطبيقية وفي نهايته خاتمة البحث وأهم النتائج

إن هذه الدراسة تتبنّى منهجًا وصفيًا تحليليًا مقارنًا يهدف إلى استكشاف آليات سلطة اللغة في نهج البلاغة ونظرية أفعال الكلام، ومقارنة التأثير النفسي لكل منهما.

١- الوصف: لتحديد خصائص الخطاب البلاغي وأفعال الكلام.

٢- التحليل: لتفكيك العناصر الدلالية والتفاعلية في النصوص.

٣- المقارنة: لموازنة نقاط التلاقي والاختلاف في الآليتين.

## المطلب الأول:

## المفاهيم النظرية:

- **أولاً: مفهوم فلسفة اللغة ونشأتها:**

من التعريفات المهمّة التي أوردها الفلاسفة لمصطلح (فلسفة اللغة) يمكننا أن نذكر ما يلي:

تمّ تعريف هذا المصطلح من قبل (جون سيرل) الفيلسوف اللغوي الأمريكي على أنه "محاولةٌ تهدفُ إلى وصفٍ دقيقٍ وواضحٍ ومن زاوية نظرٍ فلسفية لبعضِ الخاصيات العامّة التي تتعلّق باللغة مثل: المعنى، والإحالة، والصدق، فضلاً عن أنها لا تهتمّ بعناصر مخصوصة في لغة مخصوصة إلا بصورةٍ عرضيّة، وهي بذلك اسمٌ لمبحثٍ من مباحث الفلسفة، إذ إنّ تركيزه الكامل يكون على مشكلاتٍ تثيرها اللغة عينها، وبناء عليه لا تعدّ فلسفة اللغة دراسةً للغةٍ من حيث هي كذلك، بل من حيث إنها حديثٌ فلسفي حول اللغة"(١). كما ذكر (سليفان أورو) الفيلسوف الفرنسي أنّ فلسفة اللغة تعدّ "مجموعة من الأفكار المتنوّعة المصادر والتأملات؛ أي تعليقات بعض الفلاسفة حول اللغة وملاحظاتهم، وعلى الرغم من عدم تجانس هذا كله، والغياب الكلي للتماسك النظري فيه، فإنّ الأمر يتعلّقُ من دون أدنى شك بالمجال الأصعب والأهم في الفلسفة"(٢).

أما بالنسبة إلى (محمود فهمي زيدان) الفيلسوف المصري فقد ذكر أنّ فلسفة اللغة: "صار مبحثاً مستقلاً عمّا سواه اليوم، وراح يزدهرُ منذ أوائل القرن العشرين، وزاد إقبال الباحثين على الكتابة فيه، وبالإمكان القول إنّ فلسفة اللغة مجموعة مترابطة من الدراسات، يعكفُ عليها الفلاسفة والمناطقة، وتنشأ عمّا يقلقهم من مشكلاتٍ وأسئلةٍ تتعلّقُ باللغة، وإنّ لفلسفة اللغة تاريخٌ طويل"(٣).

وقد قال فيها (عزمي طه) إنها "بحثٌ فيما قبل اللغة، أو هي بحثٌ عن أوّلها ونشأتها، وعلاقتها الصحيحة بالإنسان والوجود، بكلّ ما فيه من موجودات، ودورها العلمي، والاجتماعي، والحضاري، ومحاولة توضيح ذلك كله وتفسيره"(٤). وبناء على ما سبق ذكره من تعريفات، يمكن القول إنّ أهمّ ما يربط بينها هو النظر إلى اللغة باعتبارها مشكلة فلسفية تستدعي الدراسة بغية الوقوف على حقيقتها،

---

(١) الأعمال اللغوية – بحص في فلسفة اللغة، جون سيرل، ترجمة: أميرة غنيم، دار سيانترا، تونس، ٢٠١٥م، ص١٨، ١٩.

(٢) فلسفة اللغة، سيلفان أورو، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد، لبنان، ٢٠١٠م، ص٧.

(٣) في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥.

(٤) فلسفة اللغة عند أفلاطون، عزمي طه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٥م، ص١٩.

وهو ما يؤكّده (لودينغ فيتجنشتاين) الفيلسوف النمساوي في كتابه (رسالة منطقية فلسفية) حين قال: "إنّ الفلسفة كلّها عبارة عن نقدٍ للغة"(١).

والجدير بالذكر أنّ هنالك نزعتان تتجاذبان مصطلح مفهوم اللغة ونشأتها، تتمثّلان في نزعةٍ تأصيلية وأخرى حداثيّة، وهو ما أدى إلى انبثاق مفهوم خاصّ عن كل نزعة. فبالنسبةِ إلى ما يتعلّق بالنزعة التأصيلية، فإنّ أصحابها يعتقدون أنّ فلسفة اللغة قديمة قدمَ الفلسفة التي يزيد عمرها عن خمسةٍ وعشرينَ قرناً من الزمن، وتعود مضامينها إلى الآراء الفلسفية المختلفة التي قيلت حول طبيعة الظاهرة اللغوية من حيث النشأة، وعلاقتها بالواقع والفكر، وإنهم يرون أنّ فلسفة اللغة بوصفها مفهوماً وإجراء، موجودة في كلّ فلسفةٍ اهتمّت بمسألة اللغة في تطوّرها، سواء أكان هذا الاهتمام جوهرياً أم عرضياً، قديماً أم حديثاً(٢).

أما بالنسبة إلى ما يتعلّق بالنزعة الحضارية فيرى أصحاب هذه النزعة خلافاً للأولى، أنّ فلسفة اللغة مبحث فلسفي حديث انبثق في بداية القرن العشرين، إذ يقوم بدراسة اللغة من وجهةِ نظرٍ فلسفية، ويتكوّن من مختلف التطوّرات التي عرفها الفكر الفلسفي المعاصر حصراً، الذي يتمثّل أساساً في مجمل التطوّرات الحاصلة في مجال فلسفة التأويل والمنطق، وعلم الاستدلال، وفلسفة العقل، واللسانيات وغيرها من العلوم الحديثة(٣).

وقد تمّ ظهور البوادر الأولية لهذه الفلسفة في أعمال ثلّةٍ من الفلاسفة المعاصرين أهمّهم: (أوستين) و(فريجه) و(راسل)، و(فتجنشتاين)، و(سيرلوتشومسكي) وغيرهم، والجامع بين هؤلاء الفلاسفة فكرة مشتركة هي أنّ فهم الإنسان لنفسه ولعالمه يرتكز على فهم اللغة في المقام الأول(٤). وتأكيداً على هذه الفكرة المشتركة وضعت فلسفة اللغة غاية محددة لذاتها، تتمثّل في مجموعة من الأهداف وهي: "التأكيدُ على أنّ أولوية البحث الفلسفي المعاصر هي البحث في اللغة وتوضيحها، إضافة إلى إعادة صياغة الموضوعات الفلسفية والإشكالات على أساس منطقي علمي، والوصف الدقيق والواضح لبعض

(١) رسالة منطقية فلسفية، لودفينغ فيتجنشتاين، ترجمة: عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٨٣.

(٢) ينظر: الفلسفة واللغة، الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٩٧.

(٣) ينظر: السابق نفسه، ص٢٠٠.

(٤) ينظر: التداولية عند العرب، مسعود صحراوي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٣١.

الخاصيات العامة للغة كالصدق، والمعنى، والإحالة، وكلّ ذلك من أجل الوصول إلى فهمٍ لكيفية عمل الذهن في تصوّره للعالم"[١].

- **ثانياً: سلطة اللغة وأثرها في توجيه المتلقي (نظرية المتكلم في فلسفة اللغة):**

تتجلى سلطة اللغة في الخطاب الديني في أبعادها المتعددة: سلطتها على التلقي (التأثير في سلوك المتلقي وقناعاته واتجاهاته)، وسلطتها على التشريع (صياغة الأحكام والمعايير)، وسلطتها على تكييف الذات والمجتمع. ويعني ذلك أن الخطاب الديني – بشقيه النصي والشفهي – لا يقتصر على نقل المعارف، بل يهدف إلى إعادة صناعة الوجدان الجمعي وتوجيه الإرادات نحو قضايا كبرى مثل الإيمان والطاعة والامتثال[٢].

تتموضع اللغة في مركز العلاقة بين داخل الذات (النفس) وفضاء المجتمع (الثقافة والتدين)، حيث تعمل البُنى اللغوية (التراكيب، الصيغ، الصياغات الإنشائية) كوسيط لتفعيل الوظيفة النفسية للكلمة. فقد أظهر التحليل النفسي للغة أن البنية اللغوية ليست سوى انعكاس، أو تعبير مكثف عن دوافع، أو انفعالات المتكلم، ومحدد رئيس لاستجابة المتلقي[٣]

تُعرف العلامة اللغوية بأنها وحدة أساسية للتواصل اللغوي تتألف من عنصرين مترابطين[٤]، وهما الدال: وهو الشكل الصوتي أو الكتابي للكلمة (مثال: "شجرة"). والمدلول: وهو المفهوم أو الفكرة الذهنية التي ترتبط بالدال (مثال: صورة شجرة في العقل). هذه العلاقة ليست طبيعية وإنما اعتباطية (أي لا يوجد سبب ضروري لارتباط كلمة معينة بمعنى محدد)، كما بيّن فرديناند دي سوسير، مؤسس علم اللسانيات الحديث[٥].

وأوضح دي سوسير أن العلامة اللغوية تتألف من[٦]:

---

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، ص أ.

(٢) ينظر: الخطاب الديني وإشكالية تشكيل السلوك (دراسة ميدانية)، أحمد علي حجازي، المجلة العلمية لكلية الآداب–جامعة دمياط، مج٦، ع١٣، ٢٠٢٤م، ص١٥٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٤) ينظر: فلسفة اللغة، سيلفان أورو، ص٣٢ وما يعدها.

(٥) ينظر: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت، ط١، ٢٠١٧م، ص٢٦٩–٢٧٠.

(٦) ينظر: علم اللغة العام، دو سوسير، ترجمة: يوئيل عزيز، دار آفاق عربية–العراق، ط١، ١٩٨٥، ص٨٤ وما بعدها.

أ- الدال (Signifier): الصورة الصوتية أو التعبيرية التي يختارها المتكلم.

ب- المدلول: (Signified)المعنى الذي يُحيل إليه الدال.

ت- المرجع (Referent) :وهو الشيء الخارجي الذي قد تشير إليه العلامة في العالم الواقعي. وفي فلسفة اللغة، قد يتم التركيز على وجود هذا المرجع أو غيابه، حسب نظرية الاستخدام.

يرى دي سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست طبيعية، بل اعتباطية تتحدد من خلال الاتفاقات الاجتماعية في اللغة. كما ان العلامة اللغوية تُصبح وسيلة ديناميكية بين التفكير والتعبير، حيث يضع المتكلم بصمته الخاصة من خلال اختيار الكلمات وترتيبها. وهي تحمل استقرارًا نسبيًا داخل النظام اللغوي، لكنها عرضة للتغير عبر الزمن نتيجة لاختلاف استخدام المتكلمين(١).

أما بالنسبة لعلاقة العلامة اللغوية بالمتكلم، فإن المتكلم ليس مجرد مستخدم للعلامات، بل يُعيد تشكيلها حسب السياق والموقف، فالعلامة قد تأخذ دلالات خاصة عند المتكلم بناءً على تجربته الشخصية، والمتكلم يستطيع خلق علامات جديدة أو تغيير معاني العلامات القديمة، مما يساهم في تطور اللغة(٢).

ووفقًا لنظرية الاستخدام عند ويتجنشتاين، المعنى يتحدد باستخدام العلامة في سياق معين، لذا دور المتكلم يصبح أساسيًا في تحديد هذا الاستخدام. أما دوسيسير فقدم العلامة كجزء من نظام أوسع، حيث لا توجد العلامات بمعزل عن بعضها البعض، بل هي مرتبطة بعلاقات متبادلة، حيث أكد على الطبيعة الاعتباطية للعلامة، مما جعلها مجالًا لدراسة الأنظمة اللغوية بشكل منهجي(٣). وهنا تبرز نظرية الاستخدام (ويتجنشتاين)، حيث اعتبر أن العلامات تحصل على معناها من خلال كيفية استخدامها في الحياة اليومية(٤).

إن العلامة اللغوية تمثل حجر الزاوية في فلسفة اللغة. إنها وسيط بين المتكلم والعالم الذي يعيش فيه، تتيح له نقل أفكاره ومشاعره وتجربته الخاصة. من خلال تطورها في السياق الاجتماعي واللغوي، تكشف العلامة كيف أن اللغة ليست مجرد نظام للتواصل، بل أداة إبداعية تشكل العالم الإنساني.

---

(١) ينظر: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، رومان جاكوبسون، ترجمة: حسن ناظم، دار الرافدين-العراق، ٢٠٢٤م، ص٤٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٤٨.

(٣) ينظر: مسيرة الفلسفة، ميشيل فوكو، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي-المغرب، ط١، ١٩٨٦م، ص١٠١.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص١٠٢.

- **أفعال الكلام كجزء من نظرية المتكلم:** نظرية المتكلم تسعى إلى تسليط الضوء على الدور الفاعل للمتكلم في تشكيل المعنى داخل إطار اللغة. المتكلم ليس مجرد ناقل للرسائل، بل هو مبدع للواقع من خلال أفعاله الكلامية. تستخدم نظرية أفعال الكلام لغة تُحوّل الكلمات إلى أفعال تؤثر في المستمعين أو حتى في الظروف المحيطة. هذه النظرية، التي أسسها جون أوستين وطوّرها جون سيرل، تُظهر أن الكلام هو أكثر من مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هو وسيلة لإحداث تغيير حقيقي(١).

الدراسات الغربية، بدءًا بأعمال جون أوستين ثم امتدادًا إلى جون سيرل، أثرت بشكل كبير في فهمنا للغة كأداة للفعل. هذه الدراسات لا تكتفي بالنظر إلى الكلام كعملية وصفية، بل تكشف عن كيف أن المتكلم يُحوّل اللغة إلى أفعال تؤدي إلى تغييرات ملموسة. الأفعال الكلامية تُظهر أن المتكلم يمتلك قدرة ذاتية وإرادية لتوظيف اللغة حسب سياق معين.

١- **جهود أوستين وتصنيف الأفعال الكلامية:** جون أوستين هو رائد نظرية أفعال الكلام، وقد قدم رؤيته الثورية في كتابه) كيف تفعل الأشياء بالكلمات) . حيث صاغ مفهوم الأفعال الكلامية بوصفها أدوات تُظهر أن الكلمات ليست مجرد وسائل للتواصل، بل يمكنها أن تُحدث أفعالًا اجتماعية وقانونية ونفسية. صنّف أوستين الأفعال إلى ثلاثة أنواع رئيسية(٢):

- الأفعال القولية: تُركز على المعنى الحرفي للكلام.
- الأفعال الإنجازية: تُركز على النوايا والأهداف التي يحققها المتكلم من خلال الكلام.
- الأفعال التأثيرية: تُظهر تأثير الكلام على المستمعين أو البيئة.

هذه التصنيفات تتفاعل بشكل مباشر مع نظرية المتكلم لأنها تُبرز كيف يخلق المتكلم معنى ويتسبب في تغيير من خلال استخدامه للغة(٣)، وقد رأى أوستن أن هذه الأفعال حسب المتكلم تقسم إلى ما يلي:

أ- أفعال الأحكام وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: المتكلم هنا ليس مجرد ناقل للمعلومات، بل هو سلطة تنقل القوة من خلال الكلام، وتُظهر هذه الأفعال كيفية استخدام المتكلم للغة لإحداث تغييرات ملموسة(٤).

---

(١) ينظر: في تداولية الخطاب الأدبي-المبادئ والإجراءات، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة للنشر والتوزيع-الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر-الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) ينظر: التداولية اليوم-علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، المنظمة العربية للترجمة-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٩-٣٠.

(٤) ينظر: التداولية-البعد الثالث فيث سيميولوجيا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بليغ، بلنسية للنشر التوزيع-مصر، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٤٠.

ب-أفعال القرارات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: أفعال القرارات تتعلق بالإعلان عن اتخاذ موقف أو قرار يُحدث تغييرًا فعليًا في الواقع، فالمتكلم يُبرز دوره كصانع للقرارات عبر اللغة، مما يجعل كلماته حاسمة في تنفيذها(١).

ت-أفعال الالتزام أو التعهد وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: هذه الأفعال تُبرز دور المتكلم في تقديم وعود أو التزامات تؤثر في المستقبل، فالالتزام بالكلام يربط المتكلم بمسؤولية مرتبطة بالواقع، مما يجعل الكلام أداة للتأثير المستقبلي(٢).

ث-أفعال السلوك وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: أفعال السلوك تشمل التعبير عن المشاعر أو الحالات الاجتماعية، فالمتكلم هنا يعزز العلاقات الإنسانية والاجتماعية من خلال التعبير عن مواقف معينة(٣).

الأفعال الكلامية تُظهر كيف أن المتكلم هو العنصر الفاعل الذي يُعيد صياغة الواقع الاجتماعي باستخدام اللغة. جهود أوستين في تصنيف الأفعال الكلامية فتحت المجال لفهم أعمق لدور اللغة في الفعل. العلاقة بين الأفعال الكلامية ونظرية المتكلم تؤكد أن الكلام ليس مجرد نقل للمعاني، بل هو عملية ديناميكية تعكس إرادة المتكلم وقدرته على التأثير في العالم من حوله.

٢-**جهود سيرل وتصنيف الأفعال الكلامية:** جون سيرل، الفيلسوف الأمريكي، طور نظرية أفعال الكلام التي وضع أساسها جون أوستين، ووسع نطاقها ليشمل تصنيفًا أكثر دقة للأفعال الكلامية. في كتابه الشهير Speech Acts، صاغ سيرل رؤية تفصيلية تُظهر كيف تُستخدم اللغة لأداء أفعال مختلفة تؤثر في الواقع، حيث أكد أن كل فعل كلامي يتطلب نية معينة وتفاعلًا اجتماعيًا. سيرل قسّم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف رئيسية: الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيريات، والإعلانيات. هذه التصنيفات تُبرز دور المتكلم في استخدام اللغة كوسيلة للإجراء والتغيير(٤). وصنف سيرل الأفعال الكلامية المرتبطة باللغة إلى ما يلي:

أ- الاخباريات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: لإخباريات هي الأفعال الكلامية التي تهدف إلى نقل معلومات أو وصف حقائق عن العالم الخارجي، وتتطلب من المتكلم تقديم تصريح أو إعلان يكون

---

(١) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، دار طوبقال-الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٢) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٨.

(٣) ينظر: في البراجماتية-الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب-القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٤١.

(٤) ينظر: التداولية اليوم، آن روبول وجاك موشلار، ص٣٣. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية-مصر، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٧.

صحيحًا أو زائفًا بناءً على الواقع، فالمتكلم في هذه الأفعال يلعب دور الناقل للمعرفة، حيث يحدد العلاقة بين اللغة والواقع. الإخباريات تُظهر كيف يمكن للمتكلم أن يُمثل الواقع أو يعيد صياغته من خلال اللغة(١).

ب-التوجيهيات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: التوجيهيات هي الأفعال الكلامية التي تهدف إلى دفع المستمع للقيام بفعل معين، فالمتكلم يستخدم هذه الأفعال لإصدار أوامر أو طلبات أو تقديم اقتراحات، وهذه الأفعال تُظهر قوة المتكلم في توجيه الآخرين والتأثير عليهم باستخدام اللغة، مما يعكس سلطته أو رغبته في التحكم بالسلوك(٢).

ت-الالتزاميات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: الالتزاميات هي الأفعال الكلامية التي يُعبر فيها المتكلم عن نيته أو التزامه بفعل معين في المستقبل، وتتطلب من المتكلم تحمل مسؤولية معينة. هذه الأفعال تُظهر دور المتكلم كمُخطط ومستعد لتقديم ضمانات أو تنفيذ أفعال مستقبلية بناءً على إرادته الخاصة(٣).

ث-التعبيريات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: التعبيريات هي الأفعال الكلامية التي يُعبر فيها المتكلم عن مشاعره أو حالته النفسية، وتهدف إلى تعزيز العلاقات الاجتماعية من خلال اللغة، هذه الأفعال تُبرز الجانب الإنساني والاجتماعي للمتكلم، حيث يُستخدم اللغة للتواصل العاطفي وتقوية الروابط بين الأفراد(٤).

ج- الإعلانيات وعلاقتها بنظرية المتكلم في فلسفة اللغة: الإعلانيات هي الأفعال الكلامية التي تُغير الوضع الاجتماعي أو القانوني بمجرد قولها، حيث تُصدر من سلطة مُعترف بها، فالمتكلم هنا يُمارس سلطته لخلق تغييرات حقيقية باستخدام اللغة، مما يُبرز قوة كلامه في إعادة تشكيل الواقع(٥).

جهود سيرل في تصنيف الأفعال الكلامية تُظهر كيف أن المتكلم هو العنصر الفاعل في التواصل اللغوي، حيث يُستخدم اللغة ليس فقط للتعبير عن الأفكار، بل لتحقيق أهداف وتغييرات ملموسة. هذه التصنيفات تُبرز دور المتكلم في توجيه الآخرين، بناء العلاقات، وتحقيق الأهداف المستقبلية، مما يُظهر قوة اللغة كأداة اجتماعية وثقافية.

- **ثالثاً: التعريف بكتاب نهج البلاغة:**

---

(١) ينظر: في البراجماتية، علي الصراف، ص٦١.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٦٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٦٣.

(٤) ينظر: في البراجماتية، علي الصراف، ص٦٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق نفسه.

قد تحدّث كثيرٌ من الباحثين والدارسين عن أهميّة هذا الكتاب وقيمته العلميّة "هو كتابٌ بلا حدودٍ، ليس كتاب بلاغةٍ فحسب، بل هو نهجُ حياةٍ و فلاحٍ، و نهجُ لسلوك طريق العدل و المساواة و الهداية، و لمعرفة الطريق المستقيم"(١).

وهذه الميزات التي حملها كتاب أمير المؤمنين عليه السلام جعلته محطّ اهتمامٍ منذ القدمِ، و يقول المسعودي في ذلك: "حفظ الناسُ عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة و نيّف و ثمانين خطبة يوردونها على البديهة و تداول الناس عنه ذلك قولاً و عملاً "(٢). و قيمة كتاب نهج البلاغة تبدو واضحةً في أقوال العلماء فيقول ابن أبي حديد: "و يكفي هذا الكتاب دلالةً على أنّه لا يُجارى في الفصاحة، و لا يُبارى في البلاغة، و حسبك أنّه لم يدوّن لأحدٍ من فصحاء الصحابة العشر و لا النصف ممّا دوّنَ له"(٣).

وأمّا فيما يتعلّق بجمع خطب كتاب نهج البلاغة وترتيبها، فكان الشريف الرضيّ أحدَ الذين قاموا بجمع خطب الكتاب، وقد عمد إلى تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

- الخطب والأوامر.
- الكتب والرسائل.
- الحكم والمواعظ.

و يقول الشريف الرضيّ في ذلك "فأجمعتُ بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثمّ محاسن الحكم و الأدب مفرداً لكلّ صنفٍ من ذلك باباً و مفصّلاً فيهِ أوراقاً مقدمة للاستدراك ما عساهُ يشذُّ عنيّ عاجلاً و يقعُ لي آجلاً، و لا أدّعي مع ذلك أنّي أحيطُ بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتّى لا يشذّ عنّي شاذٌ، و لا يندُّ ناد، بل لا أبعد أن يكونَ القاصر عني فوق الواقع إلي، و الحاصل من ربقي دون الخارج من يدي، و رأيتُ من بَعدُ تسميّة هذا الكتاب بنهج البلاغة"(٤).

---

(١) دراسات في نهج البلاغة، مجموعة من المؤلفين، سلسلة المعارف الإسلاميّة، مركز نون للتأليف، بيروت، ١٤٢١ هـ. ص١٥.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، تحقيق: قاسم الرفاعي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩، ج٢، ص٤٣١.

(٣) نهج البلاغة، ابن أبي حديد، عز الدين عبد الحميد، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، دار الكتاب العربيّ، دمشق، ٢٠٠٧، ج١، ص١٠.

(٤) نهج البلاغة، الشريف الرضي، دار المعرفة للطباعة والنشر-لبنا، دط، دت، ص١٥٥.

## المطلب الثاني:

## الدراسة التطبيقية:

ننتقل إلى المشهد التطبيقي، سنعرض جملة من النماذج الغنية من نصوص نهج البلاغة، مع توصيف للفعل الكلامي وتحديد موقعه في التصنيف الخماسي لسيرل، وبيان الأثر النفسي المرجو، بجدول ومن ثم تعليق تحليلي مفصل:

**فيما يلي جدول تصنيف الأفعال الكلامية في نماذج مختارة من نهج البلاغة:**

| الأثر النفسي على المتلقي | الغرض التداولي | (تصنيف سيرل) نوع الفعل | النموذج النصي |
|---|---|---|---|
| بث القوة والثقة، شحذ العزيمة، مقاومة الخوف، تعزيز الإقدام والتحدي | استنهاض الإرادة | (أمر توجيهية: Directives) | "تزول الجبال ولا تزل. أعر عضّ على ناجذك. الله جمجمتك..." |
| استحضار الخوف من العاقبة، تنمية الشعور بالمسؤولية واليقظة الجماعية | ضبط السلوك | (نهي توجيهية: Directives/Prohibition) | " لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم شراركم..." |
| بث الطمأنينة، التعبير عن الحاجة، تسكين القلق الداخلي، غرس الأمل | التوسل والرجاء | (دعاء تعبرية: Expressives) | "اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار..." |
| إثارة الشعور بالذنب، الاستفاقة من الغفلة، تحفيز الضمير، الحث على التوبة | زجر وتنبيه | (توبيخ توجيهية/تعبرية) | "أبالحجارة !ويل لكم ترجمون وأمثالها من الكلام تهزؤون..." |
| بث الثقة في العدالة الإلهية، تحفيز التفاؤل، تثبيت القيم الأخلاقية | طمأنة وتحفيز | (وعد التزامية: Commissives) | "وعد المؤمن عطية..." |
| التعبئة النفسية، شحذ الانفعال الجماعي، زيادة | استدرار النصر | (دعاء تعبوي توجيهية/تعبرية) | " اللهم رب السقف المرفوع...) دعاء للجيش " |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الإيمان بالغاية والأمل في النصر | | | (قبل المعركة |
| بناء اليقين المعرفي، تعزيز الإيمان، الاستقرار النفسي | تثبيت المفهوم | (Assertives :إخباري)تقرير | قد أمكن الكتاب من " زمامه فهو قائده وإمامه..." |
| سكينة الانفعال، بناء القدرة على التحمل، تحفيز ضبط النفس | التوجيه الأخلاقي | (توجيهية)نصيحة وإرشاد | فإن صبرك على ضيق " أمر ترجوانفراجه خير من غدر تخاف تبعته..." |
| استثارة الضمير، بناء ثقافة الوفاء، تقوية الثقة في المعاملات الاجتماعية | تقويم السلوك | (التزامية/توجيهية)نهي أخلاقي | لا تواعد أخاك موعداً " لتخلفه." |
| دفع المتلقي لتقدير الكفاءة، تعزيز معنى الذات، تحفيز تطوير القدرات | غرس المعيار | تقرير حكمي (إخباري/Expressive) | قيمة كل امرئ ما " يحسنه..." |

- **التعليق التحليلي التفصيلي لأصناف الأفعال الكلامية ودلالتها النفسية:**

**١- أفعال الأمر والنهي (التوجيهيات):**

تعتبر أفعال الأمر والنهي النواة المركزية لتحقيق السلطة اللغوية في الخطاب الديني. ففي نهج البلاغة يرد (الأمر) بصيغ متعددة: الفعل الصريح، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، أو حتى عبر الرجاء والدعاء، كما في "تزول الجبال ولا تزل"، "أعر الله جمجمتك" أو في وصاياه: "لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١). وتمثل هذه الصيغ "توجيهًا" عمليًا ونفسيًا للمتلقي(٢):

- على المستوى النفسي، يوقظ الأمر نوازع الشجاعة أو الاستعداد أو الصبر أو المبادرة، حسب الخطاب وسياقه. فالأمر يحمل رسالة ضمنية: "إنك مُقَدّر لك أن تفعل"؛ وبذلك يكون باعثًا للثقة وغارسًا للقيم.
- أما النهي فينهض بدور المانع السلوكي والاجتماعي، فهو يقمع الدوافع الضارة، ويثير الحيطة ويستدعي من المتلقي الانضباط الداخلي والخشية من نتائج المخالفة.

(١) ينظر: صيغ الأمر ودلالاتها المختلفة في خطب نهج البلاغة، سيد مرتضى صباغ جعفري ومحمد صالح شريف عسكري، مجلة اللغة العربية وآدابها-جامعة طهران، مج١٢، ع٤، ٢٠١٧م، ص٦٥٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٦٥٧.

هذه الصيغ تشتغل بقوة في البنية الاجتماعية للتلقي: فالخطاب الحربي يحتاج "الأمر" لبث الروح القتالية، بينما يحتاج خطاب الإصلاح الاجتماعي صياغات النهي لضبط الجماعة وردع السلوك المنحرف.

**٢- أفعال الدعاء والتعزية (العاطفية/التعبيرية):**

إن الدعاء في نهج البلاغة ليس تضرعًا فرديًا محضًا، بل ممارسة رمزية جماعية وشخصية لتسكين الانفعال، أو شحنه، أو استدرار القيم العليا. في دعائه "اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار..." يجد المتلقي ذاته المهددة بالحرمان أو بالحاجة مشمولة برعاية لغوية تشع أملاً. فالدعاء - بوصفه فعلًا تعبيريًا (Expressive)يتجه نحو استثارة المشاعر الجامعة، وبث التعاطف ومساءلة الذات القرآنية، وتحويل الانفعال السلبي (الخوف، القلق، العجز) إلى طاقة إيجابية (الطمأنينة، الرجا، الثقة). كذلك الحال في التعزية: يواسي الإمام علي النفوس بمفردات مخصوصة مثل "اصبروا وصابروا"، مما يسهم في تخفيف الصدمة والجزع والتأسيس لثقافة الصبر العميق(١).

**٣- أفعال التوبيخ واللوم (توجيهية/تعبيرية):**

تبرز أفعال اللوم والتوبيخ أحد أشهر استراتيجيات علي بن أبي طالب في إصلاح جماعة أصحابه إذا هُزموا أو تثاقلوا أو انحرفوا. يُطرح التوبيخ بصياغات: "ويل لكم!..." أو "ما لكم لا تناصرون؟!" أو "أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم...".

من الناحية النفسية، يعمل التوبيخ على استثارة الخجل الإيجابي، والشعور بالذنب الأخلاقي، ويدفع المتلقي لمراجعة الذات وتعديل السلوك. فنحن بإزاء نوع من "العلاج بالصدمة اللغوية" التي لا تستولي على الذات إلا إذا جاءت محمولة على شرعية دينية وقيمية مثل التي يمثلها الإمام علي عليه السلام(٢).

**٤- أفعال الوعد والتعهد (التزامية):**

يرتكز خطاب الوعد -وتوءمه الوعيد -في نصوص النهج على التزام المتحدث بقيم أخلاقية عليا أو بمآلات دنيوية وأخروية: "وعد المؤمن عطية"، "إن الله لا يخلف وعده".

الأثر النفسي للوعد متنوع: هو يبعث الاطمئنان واليقين، ويحرك الأمل ويؤسس لثقافة الانتظار المنتج (سواء في المطر أو النصر أو الأجر)، بينما الوعيد يُوظّف لإثارة القلق البنّاء وردع السلوك السلبي. هكذا يغدو اللسان الديني ذاته أداة تحكم في نوازع الذهن الجمعي (الترغيب والترهيب)(٣).

**٥- أفعال التقرير والإخبار (الإخباريات/التقريرية):**

---

(١) ينظر: الدعاء في نهج البلاغة: دراسة بلاغية، مرتضى علي عبد النبي، مجلة كلية التربية والعلوم، جامعة ذي قار-العراق، مج٤، ع٢، ٢٠١٤م، ص٣٧٦.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، مقدمة محمد عبده، ج١، ص٢٣٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج٢، ص٣٤١.

في كثير من نصوص النهج، يتخذ الخطاب طابع الإخبار: توضيح حقائق دينية أو اجتماعية أو نفسية، كبقوله: "قيمة كل امرئ ما يحسنه"، أو "قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه". تعمل هذه التقارير على إرساء قناعات مشبعة بالمصداقية والمعقولية، فيبني المتلقي قناعاته ضمن نسق من الحقائق الكبرى التي لا تقبل الشك، وهو ما يشكل لديه سندًا نفسيًا للسلوك والاعتقاد، ويثبّت الهُوية الجمعية(١).

- **منهجية التحليل التداولي في نهج البلاغة:**

اعتمدت الدراسات التداولية الحديثة في تحليل نهج البلاغة على وصف نصوصه بوصفها حوامل لأفعال كلامية متكاملة – تتواشج فيها البنية النحوية بالوظيفة التداولية وبالمقصد النفسي. وتتمثل الأدوات المنهجية الأساسية في(٢):

- تصنيف الجمل إلى إخباريات وإنشائيات وربطها بهدف المتكلم وظروف المقام
- الكثافة الإحصائية لأنماط الأفعال الخبرية والإنجازية بحسب السياق (الخطابة/الكتابة/الحكم)
- التحليل السياقي، أي ربط صياغة الجملة بالطرف المتلقي وحالته النفسية والاجتماعية
- دراسة الأثر التأثيري (perlocutionary)في الجمهور المتلقي عبر تتبع الاستجابات المتكررة (الثقة، الامتثال، التوبة، الخشية، الإقبال الجهادي إلخ).

تشير الدراسات الاحصائية إلى سيادة وسطوة الأفعال التصريحية في الخطبة ٩٣ مثلا؛ إذ يسعى الإمام علي إلى وصف الفتن وتحليلها وتحذير المخاطبين منها، وتتنوع الوحدات الإنجازية بين الإخبار، الأمر، الدعاء، النهي، التبشير... إلخ.

تمثل السلطة التداولية للغة في الخطاب الديني إحدى الظواهر الأكثر عمقًا ونفوذًا في تشكيل الاتجاهات النفسية والسلوكية للمتلقي. فالإقناع كوظيفة نفسية أساسية للخطاب الديني لا يعتمد فقط على صوابية المحتوى أو مصداقية المصدر، بل يتجلى بالدرجة الأولى في ضوابط الأداء الإنجازي للكلمة: صدق النية، ملاءمة المقام، سلامة التعبير، مراعاة حال المخاطب، توظيف التكرار والتركيز على العواطف والانفعالات. وقد اعتمد الخطاب الديني على استراتيجيات متداخلة لتعزيز عمليات التوجيه والإقناع(٣).

- **نماذج تطبيقية موسّعة لتحليل الأفعال الكلامية في نصوص نهج البلاغة:**

---

(١) ينظر: دراسات في نهج البلاغة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠١٤م، الدرس التاسع، ص١٠١.

(٢) ينظر: أفعال الكلام في رسائل نهج البلاغة للإمام على عليه السلام-دراسة لنماذج مختارة، مهيمة سعدية وحمزة لحكل، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢١، ع١١، ٢٠١٧م، ص٣١٧.

(٣) ينظر: أفعال الكلام في رسائل نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام-دراسة لنماذج مختارة، مهيمة سعدية وحمزة لحكل، ص٣١٨.

- **أولاً: خطبة الجهاد: قال عليه السلام في إحدى خطبه: "أما بعد: فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتَحه الله لخاصّة أوليائه... فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل..."[١]:**

١-**نوع الأفعال:** تقديم الجهاد بالوصف الإخباري ثم الزجر بالتحذير من تركه الجمع بين الإخبار (Assertive) والنهي التحذير (Directive/Prohibition) والوعد-الوعيد (Commissive/Threat).

٢-**التحليل النفسي:** يولّد النص انفعالًا مزدوجًا: الرغبة في الفوز (الباب المفتوح) والخوف من الذل (ثوب الذل)، ويحقق بذلك إشراكًا نفسيًا يقود المتلقي إلى الامتثال الطوعي (مقارعة الذات).

- **ثانياً: وصيته لمحمد بن الحنفية: "تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك. أعر الله جمجمتك..."[٢]:**

١-**تصنيف الفعل:** مجموعة أوامر (Directives) مشحونة بمجاز قوي يتعرض للذات والإرادة.

٢-**الأثر النفسي:** أوامر متتالية تخلق حالة من الشحن الانفعالي الإيجابي والمواجهة والتحدي والثقة بالنفس، مما يزيد القابلية على مواجهة الصعاب.

- **ثالثاً: نصوص الدعاء: قوله عليه السلام: "اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار..."[٣]:**

١-**نوع الفعل:** دعاء تعبيري شخصي (Expressive/Commissive عند طلب الحل).

٢-**التحليل النفسي:** يلجأ الداعي إلى الله بعد أن يستنفد الحَيْلَ الاجتماعية، مما يمنحه خلاصاً من الهم وارتياحًا وجدانياً وقوة روحية جديدة.

- **رابعاً: أفعال التوبيخ: قوله عليه السلام: "ويل لكم!.. أما تستحيون..."[٤]، وقوله: "ما لكم لا تناصرون الحق؟!.."[٥]:**

١-**نوع الفعل:** توبيخ تعبيرياً-توجيهياً (Expressive/Directive).

٢-**الأثر النفسي:** صدمة روحية، انتفاضة ضمير، دفع للعتاب الذاتي، وتغيير الموقف لا بد أن يعقبه (كثيرًا ما يسبق الصحابة التغيير بُعيد خطب التوبيخ).

- **خامساً: أفعال الوعد والتعزية: قال عليه السلام: "عدة المؤمن عطية"[٦]:**

١-**نوع الفعل:** وعد (Commissive).

٢-**الأثر النفسي:** بث الطمأنينة وبناء الثقة بالوعد الإلهي وترسيخ ثقافة الوفاء.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج٢، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج١، ص٢٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج١١، ص٢٥٥.

(٤) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي-طهران، ط٣، ١٣٨٨ه، ج٥، ص٥٣٧.

(٥) روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، ركز الغدير للدراسات الإسلامية-طهران، ط٢، ١٤١٧ه، ص٩٣.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج١٩، ص٢٤٨.

تُظهر المقاربة بين نظرية أفعال الكلام ونصوص نهج البلاغة أن أصل السلطة التداولية نابع ليس فقط من المحتوى العقائدي، وإنما من أداء اللغة ذاتها داخل السياق التفاعلي والاجتماعي. سلطة الإمام علي – أو الخطاب الديني العظيم عامة – لا تكتفي بالإعلام، بل تتغلغل للواقع النفسي باختراق آليات الإدراك والتصور والشعور. إن التوجيه الإنجازي للكلمة، بوصفها "فعلًا" (لا مجرد لفظ أو دلالة)، هو ما يمكّن الخطاب الديني من إصابة مواقع النفس الأكثر عمقًا: الإرادة، الانفعال، الاعتقاد، والهوية[١]، ويضبط هذا كله شروط السياق الملائم وشروط الملاءمة التداولية (Felicity conditions)، كما بين سيرل، بحيث يكون الفعل الكلامي ناجحًا وقوي النفوذ. ويتأكد من خلال دراسة التداعيات النفسية للأفعال الكلامية أن الخطاب الديني الناجح:

– يتجنّب الجمل الغامضة أو غير المناسبة للسياق،

– يتفرد بقوة الأداء (النبر، التكرار، الإيقاع)

– يراعي أحوال المخاطب وتغير المقام (حالة الحرب/السلم، القوة/الضعف، الحزن/الفرح)

– يوازن بين الشدّة واللين بحسب مقتضى الحال

هذه التوليفة تجعل الخطاب الديني، في بنائه النفسي، أداة قادرة على التحرير الروحي أو الحشد الاجتماعي أو التطهير النفسي الجماعي.

## الخاتمة:

يظهر لنا بعد دراسة سلطة اللغة وأثرها النفسي في توجيه المتلقي من خلال مقاربة نصوص نهج البلاغة بنظرية أفعال الكلام، أن اللغة في الخطاب الديني ليست أداة للتواصل فقط، بل هي ممارسة للسلطة النفسية والاجتماعية. إن نهج البلاغة مثالٌ رائعٌ على براعة "التداولية" العربية القديمة في توظيف الفعل الكلامي لإنجاز التحول في وجدان المخاطبين، وخلق أفق جديد للفكر والسلوك.

ويعزز الجمع بين بلاغة النص الديني (بكل أسرارها الإنشائية والوجدانية) وبين التحليل الإنجازي التداولي للنص حضور الخطاب الديني كفاعل مركزي في تشكيل ضمائر الأفراد والجماعات. وبذلك يصبح نهج البلاغة – بمقولاته وبلاغته وتقنيته التداولية – أنموذجًا يتجاوز حدود حقبته، ملهمًا للباحثين والمشتغلين بالدعوة والإصلاح وممارسي كل خطاب إقناعي.

ولعل إعادة قراءة تراث النهج على ضوء المقاربات التداولية الحديثة يفتح في العالم الإسلامي والعربي منافذ جديدة لفهم الخطاب الديني، وتحقيق فاعليته النفسية والاجتماعية في زمن يحتاج فيه الناس إلى الكلمة الجامعة للمعنى، المؤثرة في الوجدان، المحركة للفعل والانفعال.

---

(١) ينظر: آليات التحليل التداولي للخطاب: قضايا نظرية ونماذج معاصرة، بوبكري راضية، مجلة التواصل، مج٤، ع٢٤، ٢٠٢٠م، ض١١٥.

- **النتائج:**

١- سلطة اللغة التداولية في الخطاب الديني ليست سلطة معرفية أو سلطة سردية وحسب، بل هي سلطة نفسية تلامس أعمق مستويات تلقي الإنسان (الإرادة، الانفعال، القيم، السلوك).

٢- تمارس نصوص نهج البلاغة هذه السلطة عبر أنساق متعددة من الأفعال الكلامية، تتكامل بدقة بين الأمر والنهي والدعاء والوعد والتوبيخ، بحيث تتجاوز الكلمة الإخبار أو التعبير لتصبح فعلًا اجتماعياً-نفسياً.

٣- تؤكد النتائج أن نجاح الفعل الكلامي (الأمر، الوعد،... إلخ) مرهون بتحقيق "شروط الملاءمة" من حيث المقام والصدق والموثوقية، وأن الأثر النفسي على المتلقي يتفاوت بحسب صياغة الفعل وسياقه، وكذلك حالة المتلقي ودرجة إيمانه وقبوله.

٤- تبرهن دراسة النصوص التطبيقية على أن كل صنف من الأفعال الكلامية ينهض بوظيفة انفعالية أو إقناعية أو تقويمية خاصة: فالأمر للنهوض بالفعل والحركة، الدعاء للسكون وبث الأمل، النهي للردع والحماية، اللوم للوعي بالذات، والوعد لبناء الثقة والطمأنينة.

٥- يتبدى من دراسة البنية اللغوية أن اختيار الصيغة، وتوظيف البلاغة، والالتفات إلى مستويات المقام والمتلقي، شرطٌ أساسيٌ في بلوغ الأثر النفسي المرجو.

٦- تدعم نظرية أفعال الكلام التحليل النقدي العربي التراثي (بلاغيًا وأصوليًا) حول مركزية المقام والسياق والخطاب في قوة البلاغة القرآنية والعظمى، وتضيف إليها المنظور النفسي والاجتماعي الحديث.

٧- تستطيع أقسام تحليل الرسائل والخطب والأوامر في نهج البلاغة أن تقدم نماذج معيارية لتحليل الخطاب الديني الحديث وحل إشكاليات التوجيه والإقناع الأخلاقي في عصر التحولات والاختلافات.

## المصادر والمراجع:

- أولا: المصادر والمراجع


١- ابن أبي حديد عز الدين عبد الحميد، تحقيق: محمد أبو الفضل : **نهج البلاغة**، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

٢- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي :**مروج الذهب ومعادن الجواهر**، تحقيق: قاسم الرفاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

٣- آن روبول وجاك موشلار: **التداولية اليوم**، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٤- جورج جرداق :**روائع نهج البلاغة**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، طهران، ط٢، ١٤١٧هـ.

٥- جون سيرل، ترجمة: أميرة غنيم: **الأعمال اللغوية – بحث في فلسفة اللغة**، ، دار سيانترا، تونس، ٢٠١٥م.

٦- خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي**، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٧- رومان جاكوبسون، ترجمة: حسن ناظم: **الاتجاهات الأساسية في علم اللغة**، دار الرافدين، العراق، ٢٠٢٤م.

٨- الزواوي بغورة : **الفلسفة واللغة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٩- سيلفان أورو، ترجمة: عبد المجيد جحفة : **فلسفة اللغة**، دار الكتاب الجديد، لبنان، ٢٠١٠م.

١٠- الشريف الرضي : **نهج البلاغة**، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، دط، دت.

١١- طالب الطبطبائي : **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

١٢- عبد المجيد جحفة : **مدخل إلى الدلالة الحديثة**، دار طوبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣- عزمي طه : **فلسفة اللغة عند أفلاطون** ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٥م.

١٤- علي آيت أوشان : **السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥- علي محمود حجي الصراف : **في البراجماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٦- عيد بليغ: **التداولية– البعد الثالث في سيميولوجيا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة**، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٩م.

١٧- فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل عزيز : **علم اللغة العام**، دار آفاق عربية، العراق، ط١، ١٩٨٥م.

١٨- الكافي،محمد بن يعقوب الكليني: **دار الكتب الإسلامية**، مرتضى آخوندي، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

١٩- لودفينغ فيتجنشتاين، ترجمة: عزمي إسلام: **رسالة منطقية فلسفية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٠- مجموعة من المؤلفين : **دراسات في نهج البلاغة**، سلسلة المعارف الإسلامية، مركز نون للتأليف، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢١- محمود أحمد نخلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٢- محمود فهمي زيدان : **في فلسفة اللغة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٣- مسعود صحراوي : **التداولية عند العرب**، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.

٢٤-مصطفى غلفان: **اللغة واللسان والعلامة عند سوسير**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٥-ميشيل فوكو، ترجمة: جورج أبي صالح: **مسيرة الفلسفة**، مركز الإنماء القومي، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

٢٦-نواري سعودي أبو زيد : **في تداولية الخطاب الأدبي– المبادئ والإجراءات**، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

- **ثانياً: المجلات والدراسات النقدية:**

١-أحمد علي حجازي: **الخطاب الديني وإشكالية تشكيل السلوك (دراسة ميدانية)**، المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة دمياط، مج٦، ع١٣، ٢٠٢٤م.

٢-آليات التحليل التداولي للخطاب: قضايا نظرية ونماذج معاصرة، بوبكري راضية، مجلة التواصل، مج٤، ع٢٤، ٢٠٢٠م.

٣-سيد مرتضى صباغ جعفري ومحمد صالح شريف عسكري: **صيغ الأمر ودلالاتها المختلفة في خطب نهج البلاغة**، مجلة اللغة العربية وآدابها– جامعة طهران، مج١٢، ع٤، ٢٠١٧م.

٤-مرتضى علي عبد النبي: **الدعاء في نهج البلاغة: دراسة بلاغية**، مجلة كلية التربية والعلوم، جامعة ذي قار – العراق، مج٤، ع٢، ٢٠١٤م.

٥-مهيمة سعدية وحمزة لحكل: **أفعال الكلام في رسائل نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام – دراسة لنماذج مختارة**، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢١، ع١١، ٢٠١٧م.